مقـــدّمة

الحمد لله الذي حقّق الأماني وبلغ الآمال ، وسنّ لطلب سني المقاصد طرق الظفر وأسباب النوال ، وهيّأ لمن حجّ بيته العتيق وزار المدينة النبوية الشريفة خير المكاسب وأزكى الخلال. وأصلي وأسلّم على كنز المكارم والمعالي مجتلى الكمال سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وصحبه والآل.

وبعد ، فمن منن الله تعالى علينا أن فرغنا من إعداد هذا الجزء الخامس من ملء العيبة للنشر. وهو وإن كان كبقية أجزاء رحلة ابن رشيد التي فصلنا القول عنها في مقدّمة الجزء الثاني منها ، لكنه مع الإفادات التي احتوى عليها ، واللطائف التي ورد ذكرها به ، والأسانيد التي تلقّاها صاحبه عن الأشياخ وجمعها فيه ، والتراجم العلمية التي حرّرها محمد ابن رشيد معرّفًا بأعلام السنة ممن لقي بالحرمين الشريفين وبمصر والإسكندرية عند الصدور وأودعها به ، يتميّز بأمرين اثنين :

أولهما أنه واسطة العقد لأن الغرض الأساسي من إنشاء ابن رشيد الرحلة بالنسبة إليه ، وبالنسبة إلى غيره من المغاربة في عصره وقبل عصره وبعده ، الوصول إلى البلد الحرام ، والتشرّف بالتنقّل بين المشاعر العظام ، والتمكّن من أداء فريضة الحجّ التي هي أحد أركان الإسلام ، وبل الأوام بزيارة مسجد خير الآنام. وان هذا الجزء ليصوّر يوميات الرحلة الكريمة الممتعة التي تصف وصول ابن رشيد إلى الحرمين الشريفين ، ومدة إقامته بهما ، وتاريخ انفصاله عنهما.

فقد تمّ له ذلك بفضل الله سبحانه كما ذكر في هذا الجزء بالتوجّه من دمشق إلى مدينة النبي ﷺ في الحادي عشر من شوال سنة أربع وثمانين وستمائة ، والشوق محتدم والوجد غير مكتتم وهو يسأل الله التيسير ويعوذ به من التعسير. وقد سلك لذلك مع الركب طريق الشام إلى

المدينة المنورة. فمن ميدان الحصى بظاهر دمشق إلى بصرى الشام، ومنها إلى وادي الأزرق وإلى تبوك ثم السير إلى حجر ثمود والعلى ومنه إلى وادي القرى وعيون حمزة إلى أن وصل طيبة الطيبة وهو يردّد قول الشاعر:

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

وكان الوصول إلى ظاهر المدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ضحاء اليوم الثالث والعشرين لذي القعدة. فبقي بها أربع ليال وثلاثة أيام. وكان سفره منها إلى مكة المكرمة يوم السادس والعشرين منه. وفي طريقه إلى البلد الحرام مرّ بذي الحليفة وبوادي الصفراء وخليص وبطن مَر التي بلغها في السادس من ذي الحجة. وفي الغداة دخل مكة. وبعد قضاء الوطر من سفره، وتحقيق منية النفس، وأداء الفرض عاد ابن رشيد إلى المدينة المنورة في اليوم الخامس عشر لذي الحجة وبلغها في الخامس والعشرين منه. ولم يمكث بها إلا ثلاثة أيام، ثم غادرها في الثامن والعشرين مستأنفًا الرحلة عائدًا إلى بلده وهو ينشد قول الآخر:

أودعكم وأودعكم جناني وأنثر عبرتي نثر الجمان
وقلبي لا يريد لكم فراقا ولكن هكذا حكم الزمان

وقد سافر منها إلى مصر مرورًا بينبع والوجه وعيون القصب وبلغ عقبة أيلة في الخامس والعشرين من محرم سنة خمس وثمانين وستمائة. فكانت إقامته بالحجاز وما حوله نحو أربعة شهور.

والأمر الثاني هو أن هذا القسم من الجزء الخامس المتعلق بحجه من طواف بالبيت العتيق، ووقوف بعرفة وعند جبل الرحمة، ودفع إلى مزدلفة، ومبيت بمنى يحكي تجربة ابن رشيد الشخصية التي كان دليله العلمي فيها الذي لم يغنِ عنه والذي يحاول تطبيق كل ما ورد به من آداب وأحكام هو كتاب صلة الناسك في صفة المناسك لأبي عمرو ابن الصلاح. فقد نقل منه في رحلته فقرًا، وتعرّض خلالها بالمناسبة إلى عدة قضايا فقهية وتاريخية فصلها وعلّق عليها، مع ذكره لمشاهداته وأحواله في إقامة المناسك كلها. وهكذا اشتمل هذا القسم من الجزء الذي بين أيدينا على أخبار وأوصاف وتفصيل لحدود المشاعر موثق بنقول دقيقة من السيرة النبوية الشريفة، وكلام أصحاب المسالك وأقوال اللغويين مع ما دعته إليه المناسبات من ذكر لنكت الأدباء وعلماء النقد والبلاغة.

وإنّا وإنْ عنينا بعض العناية بهذا الجزء مراجعة وضبطًا وتعليقًا وتفسيرًا فإن الفضل للسابق. ذلك أن القسم المتعلق بالحرمين الشريفين قد تميّز مرة أخرى أيضًا على بقية الأقسام والأجزاء

من رحلة ابن رشيد بنشر العلامة المحقّق الشيخ حمد الجاسر حفظه الله له. نشره تحت عنوان «الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي»، في تسعة فصول متلاحقة من مجلة العرب الغراء في الأعداد: ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢ من السنة الثالثة، وفي العددين: ١، ٢ من السنة الرابعة.

واليوم ونحن نقدّم الجزء الخامس بقسميه للقرّاء نرجو أن يفيدوا منه علمًا وفقهًا وسنّة وأدبًا لأنه يصوّر أكثر جوانب هذه الثقافة بالمشرق العربي في عصر ابن رشيد. ولعلّنا بعد فترة قصيرة نتمكّن من نشر الجزءين الباقيين من هذه الرحلة خدمة لتراثنا وتعريفًا بالحياة الفكرية المتميزة التي كان يعيشها المغرب العربي والأندلس في النصف الثاني من القرن السابع.

وصف المخطوطة

يحمل الجزء الخامس من الرحلة رقم ١٦٨٠ بمكتبة الأسكوريال، وقد وصل إلينا كبقية الأجزاء في الأول عن طريق الأشرطة المحتفظ بها بدار الكتب بالقاهرة. وهو مسودة المؤلف. وتقع في ٨٥ ورقة، كل ورقة ٢٧ سطرًا. والخط مغربي واضح إلا أن أكثر الأوراق مهمشة بمخرجات وزيادات في الحواشي جعلت الكتابة متداخلة وغير مقروءة أحيانًا وبوجه الورقة الأولى من المخطوطة بأعلاها:

«السفر الخامس من رحلة الشيخ الصالح محمد بن رشيد رحمه الله».

وتحت هذا السطر على عرض الورقة: «بخط مؤلفه».

ودون ذلك تملك في سطرين نصّه: «الخامس من رحلة الشيخ ابن رشيد رحمه الله» في سطر. و«لسيدي أحمد الونشريسي» في سطر ثانٍ.

ويبدو أن هذا السفر قد انتقل بعد ذلك بالملكية إلى آل المنجور كما هو منصوص عليه كتابة بخطوط متغايرة في هذا الوجه من الورقة. وهم أفراد كثيرون. ونقرأ في أسطر ثلاثة: «لعبيد الله الراجي عفوه وغفرانه أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المنجور، ثم لولده من بعده عبد السلام وفّقه الله ورزقه ورضاه».

وتحت هذا النص بخط مختلف: «محمد بن يحيى بن محمد بن رشيد الفهري رحمه الله تعالى».

ولعلّ المذكور هنا هو حفيد صاحب الرحلة محمد بن عمر بن رشيد.

ثم بنفس هذا الخط قصة قيام ابن رشيد بالخطبة يوم الجمعة بجامع الأندلس بغرناطة قبل الآذان الثالث منقولة عن خط ابن أجر روم. راجع الملحق ١.

وفي ظهر هذه الورقة بأعلاها في ثمانية أسطر سماع ليحيى ابن المؤلف لجميع الجزء على والده بفاس بقراءة أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي. راجع الملحق ٢.

ويبدأ هذا الجزء بقول ابن رشيد في أول الورقة ٢-أ: «ذكر توجّهنا من دمشق حماها الله تعالى إلى مدينة النبي ﷺ» وينتهي ببيتين للحافظ زكي الدين المنذري:

اعمل لنفسك صالحًا لا تحتفل ... بظهور قيل في الأنام وقال
فالناس لا يرجى اجتماع قلوبهم ... لا بدّ من مثن عليك وقال

وهو جزء جيّد من أجزاء الرحلة مقابل: قرأه كما ألمعنا لذلك الحضرمي على المؤلف وعليه تصحيح وبهوامشه تعاليق وتنبيهات مرة بخط المؤلف: ٢١١، ٧٠١ و٢١٨، ٧١١، وثانية بخط قارئه الحضرمي الذي يرمز لاسمه بحرف ظ: ٢٠١، ٦٩٣، وأخرى بخط آخر مجهول لا نعرف صاحبه: ٢٠٧، ١٠٢٩.

وهذا الجزء مع ذلك صعب مستصعب:

١- لما به من أوراق مدرجة.
٢- لما فيه من أنقاص وكلمات غير واضحة سببها: الكتابة المعفاة بالرطوبة أو التي ذهب بها ما لحق الحواشي من تهرؤ أو طمس.
٣- لما فيه من تقديم لما حقّه التأخير، وتأخير لما حقّه التقديم.
٤- لما به من تشويش يظهر في انقطاع السياق في صورة المخطوطة، وفي تكرر صور بعض اللوحات، أو فيما بالهوامش من تنبيهات تدعو إلى وجوب تغيير الترتيب الطبيعي في النص، أو في سقوط ورقة مدرجة أو ضياعها، أو سقوط أوراق من الأصل، أو سقوط أوراق من صورة المخطوطة دلّ عليها الأصل، أو تهميش طويل يملأ حواشي ورقتين متتابعتين.
٥- لما به من تهميش وعدول عن التهميش.
٦- لما به من أسطر أو كلم لا تمكن قراءتها أصلاً.

أما الأوراق المدرجة فهي أوراق منفصلة من الجزء مكتوبة بخط المؤلف، أدرجت بين

أوراق السفر تحمل مرة رقمًا كالورقة ٣٤. انظر: ١٧٤ ، ٦١٧ و١٨٣ ، ٦٥٩.

ومرة مغفلة لا رقم بها كالورقة المدرجة بين ٣٦ب و٣٧أ. انظر ١٩٢ ، ٦٨٣ ؛ والورقة المدرجة بين ٥٣ب و٥٤أ. انظر: ٢٥٨ ، ٨٨١ و٢٦١ ، ٨٩٨ و٢٦٢ ، ٩٠٠ ؛ والورقتين المدرجتين بين ٥٩ب و٦٢أ. انظر: ٢٢٨ ، ٩٤٨.

وأخرى ورقة مثبتة في السفر ليست من الرحلة جعلناها في الملحق ٣.

وأما الاستدراكات فقد اعتمدنا لإكمال النقص الذي نشأت عنه السياق مرة كما في: ٦٢ ، ٢٤٧ ؛ ٦٦ س ٩ ؛ ٦٧ ، ٢٥٥ ؛ ٨٦ س ٦ ؛ ١٢٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ؛ ١٤٤ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ؛ ١٤٧ ، ٥١٧ ؛ ١٦٤ ، ٦٠٠ ؛ ١٨٢ س ٥ ؛ ١٩٢ ، ٦٨٣ ؛ ٣٤٢ ، ١١٧٠.

وأخرى رجعنا لاستدراك النقص إلى الكتب والدواوين المختلفة بحسب ما يقتضيه المقام وذلك ككتب التفسير مثل الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧٥ ، ٢٧٣ ؛ وكتب الحديث كصحيح مسلم: ٧ س ١٨ ؛ ٨ س ١ ؛ ١٧٨ – ١٧٩ ، ٦٤٤ ؛ وكتب التاريخ مثل تاريخ ابن الخيّاط: ٢ ، ٧ ؛ وأخبار مكة المشرفة للأزرقي: ١٢٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ؛ ١٢١ ، ٤٢٠ ؛ وكتب التراجم كالعقد الثمين للفاسي: ١٤٦ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ؛ والغاية لابن الجزري: ١٨٠ ، ٦٥٢ ؛ والخريدة للأصبهاني: ١٩٣ ، ٦٨٥ ؛ وكتب المسالك والبلدان مثل المغانم للفيروزبادي: ٧١ ، ٢٦٤ ؛ ومعجم البلدان والمعالم: ٧٢ ، ٢٦٥ ؛ وكتب الأدب مثل العقد الفريد: ١٢٤ ، ٤٢١ ؛ والدواوين كديوان أبي تمام: ٣٤٩ ، ١٢٠١ ؛ والأصل الذي أورده ابن رشيد نفسه: ٢١٩ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ؛ ٢٢٠ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨.

وأما إقامة النص بإرجاع ما حقّه التقديم إلى محله ، وتأخير ما محله التأخير فهذا يتضح من: ٤٦ ، ١٧٢ ؛ ٤٧ ، ١٧٥ ؛ ٤٥٠ ، ١٣٢ ؛ ١٣٣ ، ٤٦١ ؛ ١٣٤ ، ٤٦٢ ؛ ١٤٨ ، ٥٢٧ ؛ ١٨٣ ، ٦٥٩ ؛ ٢١٣ ، ٧٠٤ ؛ ٢١٨ ، ٧٠٩ ؛ ٢٢٣ ، ٧١٥ ؛ ٢٤٣ ، ٨١٧ ؛ ٢٤٤ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣.

وأما التشويش والاضطراب فيترتب على انقطاع السياق في صورة المخطوطة كما في: ٤٧ب – ٤٨أ ، وتكرر لوحتي ٤٢ب و٤٣أ في ٤٨ب – ٤٩أ ولا يتم الالتئام في السياق بعد ذلك إلا بالانتقال من نهاية ٤٧أ إلى أول ٤٩ب: ٢١٥ ، ٧٠٦ ؛ ٢٢٢ ، ٧١٤.

وقد يكون بالهامش ما ينجد قارئ المخطوطة بتنبيه إلى الترتيب الواجب اتّباعه كما في: ٢١٧ ، ٧٠٧ و٢٦٢ ، ٩٠١ ؛ ٢٩٤ ، ٩٩٨. وقد يحصل الاضطراب كما أشرنا إلى ذلك

بسبب سقوط ورقة من المخطوطة مدرجة نبّه إلى وجودها صاحب البرنامج : ٨٠ ، ٢٩٠ ، أو لانقطاع السياق بسقوط أوراق كثيرة من المخطوطة الأصلية كالذي حصل في بداية رسم أبي اليمن ابن عساكر : ١٦٤ ، ٥٩٩. وقد يكون السقوط من صورة المخطوطة هو ما اضطررنا لاستدراكه بمقابلة ما بها مع الأصل المحفوظ بالاسكوريال ، وبتصوير الأوراق الناقصة منها التي أثبتنا لوحاتها الإحدى عشرة بعد صور بداية النسخة ونهايتها والتي أرقامها بأصل المخطوطة : ٣٤ب ، ٣٥أ ، ٤٩أ ، ٤٩ب ، ٥١أ ، ٥١ب ، ٥٢أ ، ٥٢ب ، ٥٣أ ، ٦٢ب ، ٦٣أ. وقد يحصل التشويش أيضًا من مخرج طويل في ظهر ورقة يكتب بهامشها بأطراف الورقة وتجد بقيته وتمامه بوجه الورقة الموالية : ٥٨ب – ٥٩أ. انظر : ٢٧٠ ، ٩٣٢.

وأما ما كان بسبب التهميش المضبب وذكر نصّه بعد اختصارًا أو اقتصارًا فشاهده للأول : ١٣٨ ، ٤٨٢ و١٤٠ ، ٤٨٦ ، وللثاني : ٢٢٣ ، ٧١٥.

وأما ان يكون موجبه مخرج بالهامش غير مقروء : ٣ ، ٨. أو سطر كامل لا يقرأ : ١٢٢ ، ٤٢٢ ؛ ٣٤٢ ، ١١٦٩ ؛ ٤٠٢ ، ١٢٩٦ أو كلمات أو كلمة معفاة لا يتوصل إلى قراءتها : ٢٥٨ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ؛ ٢٨١ ، ٩٣٠ ؛ ٢٨٣ ، ٩٣٤–٩٣٦ ؛ ٣٩٥ ، ١٢٧٨ ؛ ١٢٠ ، ٤١٥ ؛ ٢٧٥ ، ٩١٤.

وقد جرينا في تحقيق هذا الجزء على مراعاة الأصول المعتبرة في إقامة النص ، وحرصنا بعد ذلك مرات على المراجعة والمقابلة وعلى النقل بأمانة كما قمنا بالترجمة للأعلام ، والتثبت من النقول بالوقوف على مصادرها ، فتمكنّا بحمد الله من تقديم هذا السفر على الوجه المطلوب. فإن بلغنا الغاية من وراء هذا الجهد فبعون الله وإمداده ، وهو مستحقّ الحمد والثناء سبحانه. وإن قصرنا عن ذلك فالشواغل كثيرة ، والأعذار قائمة ، وانه كما قيل ويل للشجي من الخلي ، ولا يبرأ أحد من نقص أو سهو أو نسيان. وانا لنرجو من القارئ الكريم المعذرة ، ومن الله جلّ وعلا التوفيق والتسديد والمثوبة والأجر. فهو سبحانه الملجأ والمنجأ ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

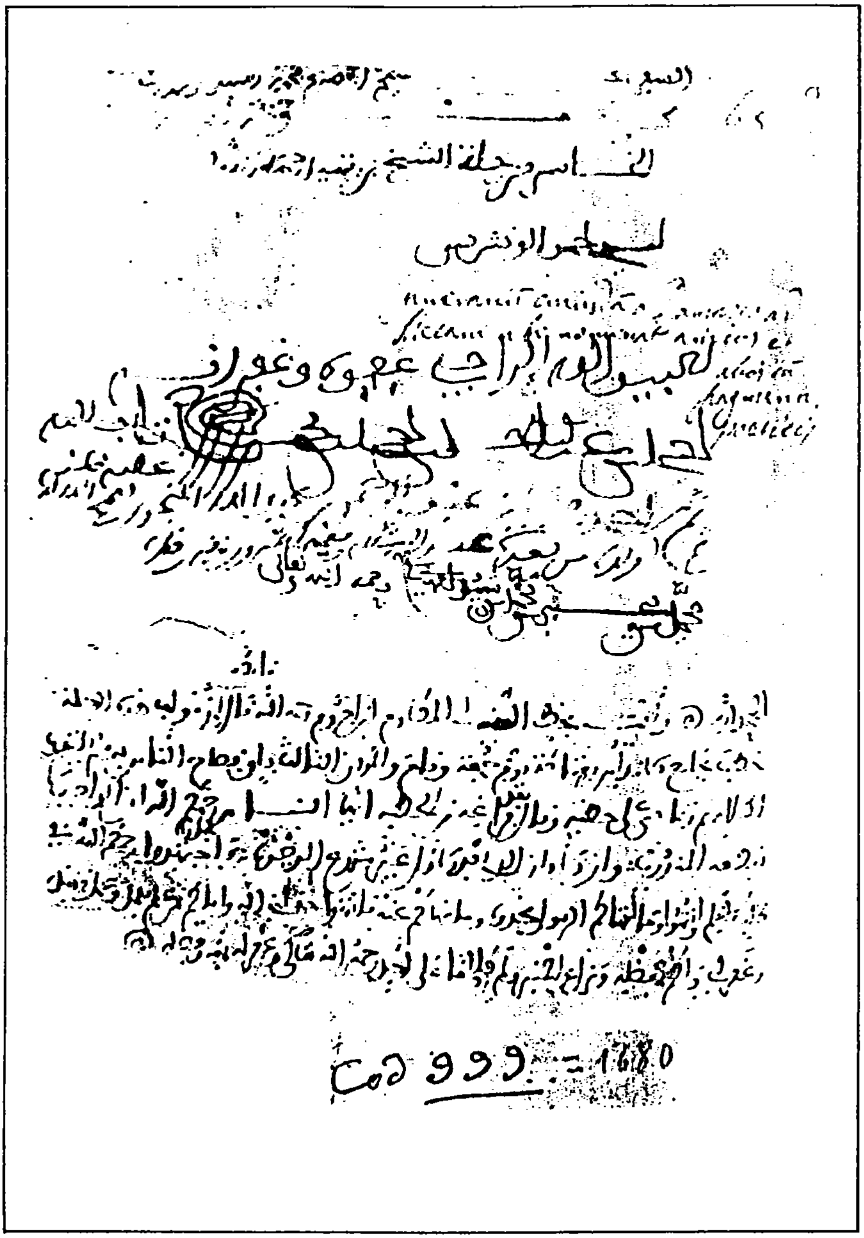

الورقة ١ – أ من المخطوط

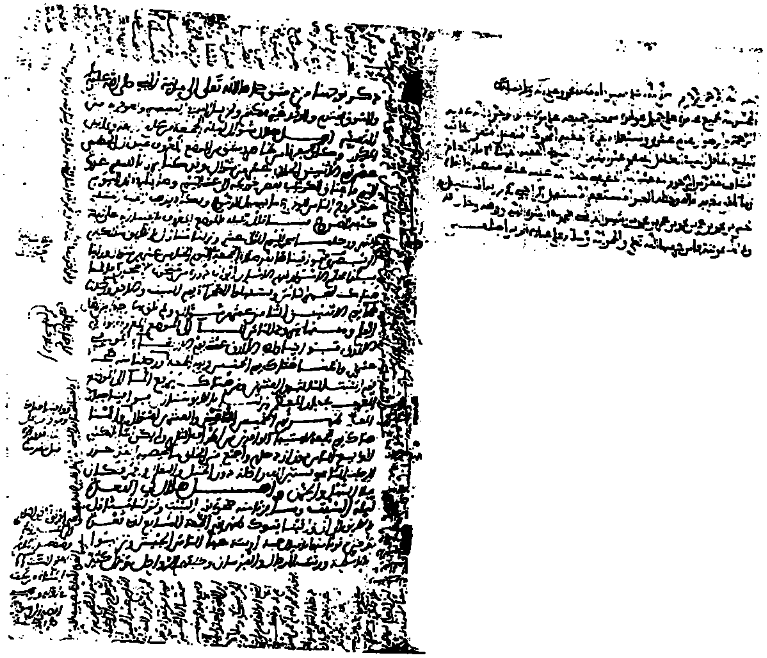

الورقة ١ - ب و ٢ - أ

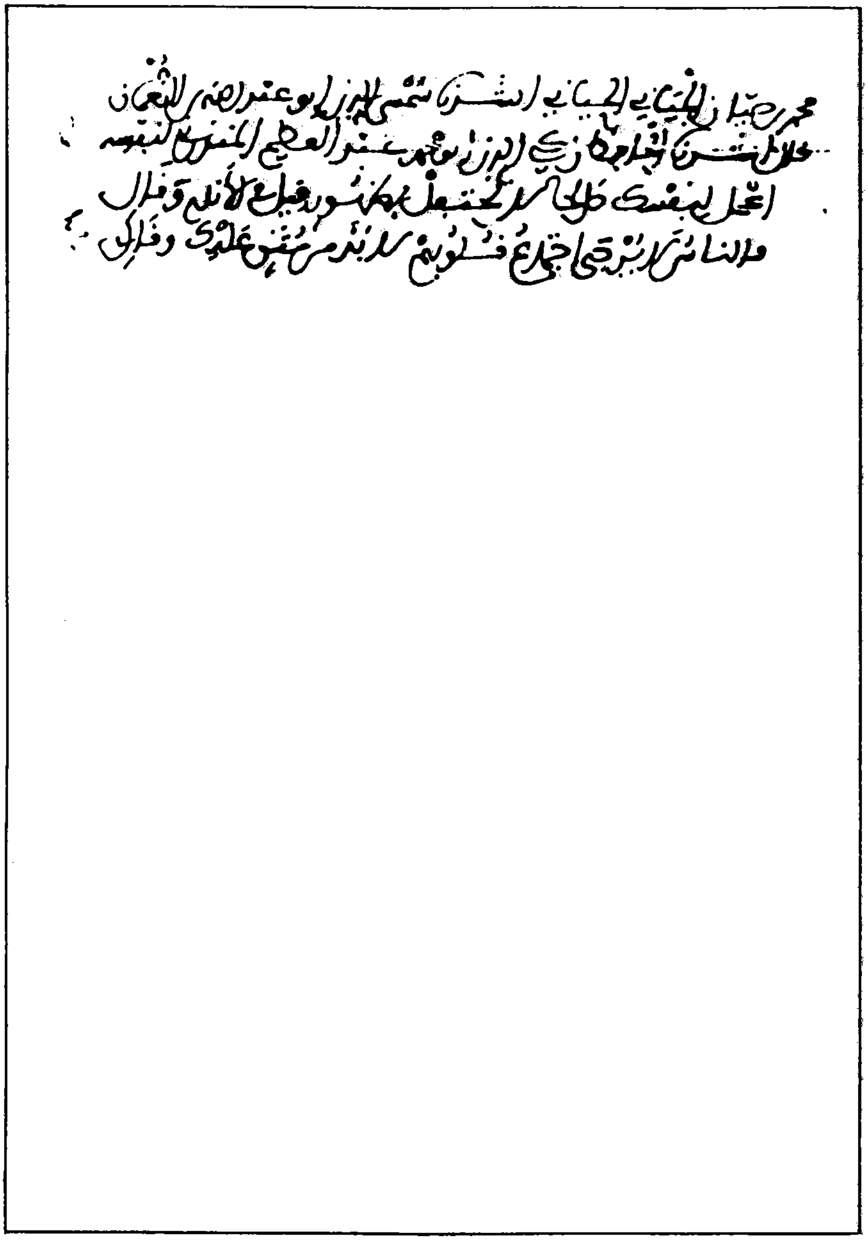

الورقة ٨٥ – ب نهاية المخطوط

٣٤ – ب

الأوراق الساقطة من الجزء الخامس من مصورة رحلة ابن رشيد بدار الكتب المصرية والتي وقع استدراكها بالرجوع إلى عين المخطوط ١٦٨٠ بمكتبة الاسكريال.

وهي: ٣٤ – ب، ٣٥ – أ، ٤٩ – أ، ٤٩ – ب، ٥١ – أ، ٥١ – ب، ٥٢ – أ، ٥٢ – ب، ٥٣ – أ، ٦٢ – ب، ٦٤ – أ.

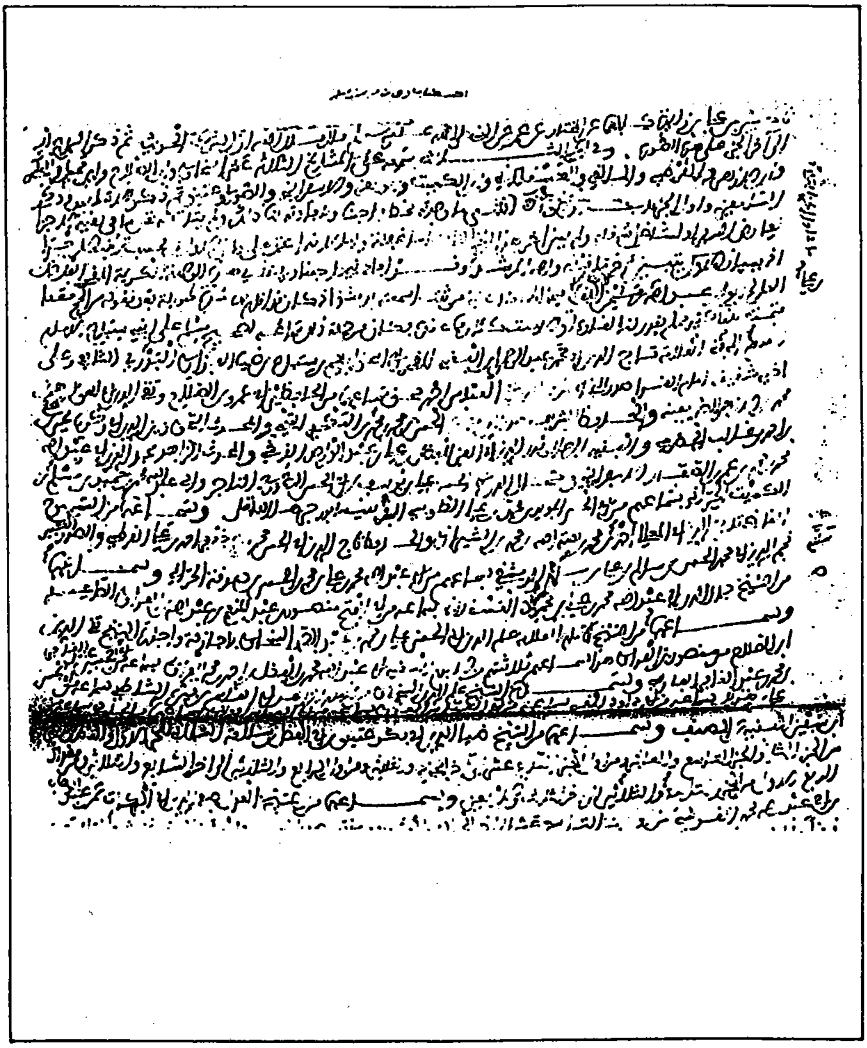

٣٥ – أ

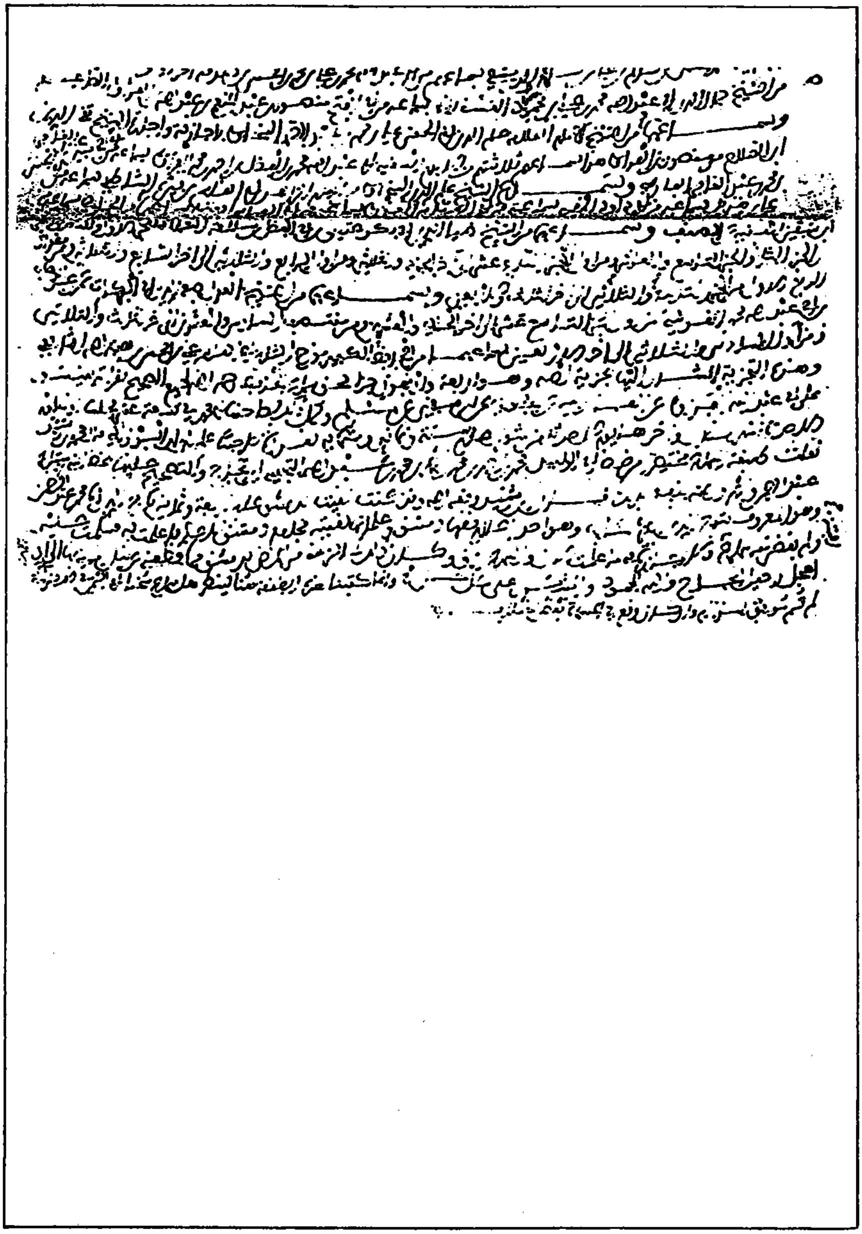

٤٩ – أ

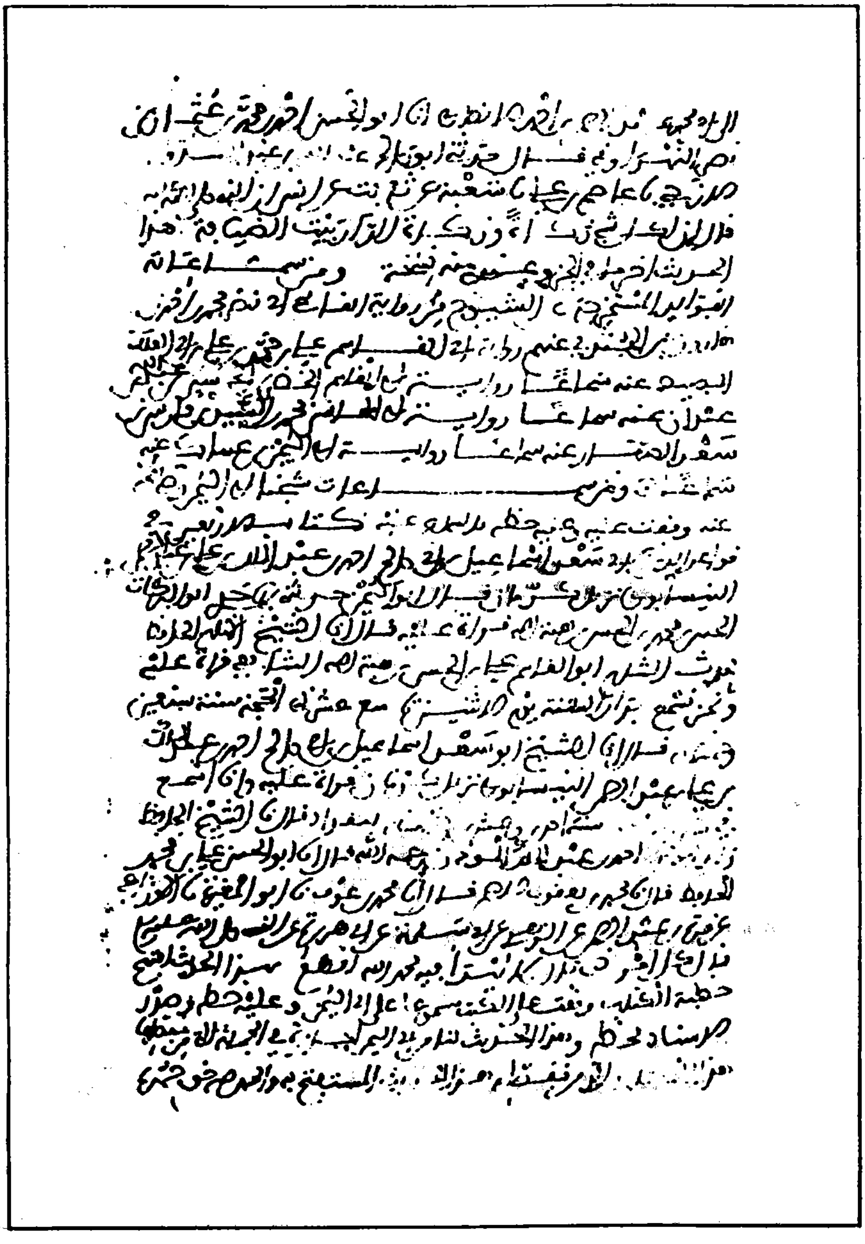

٤٩ – ب

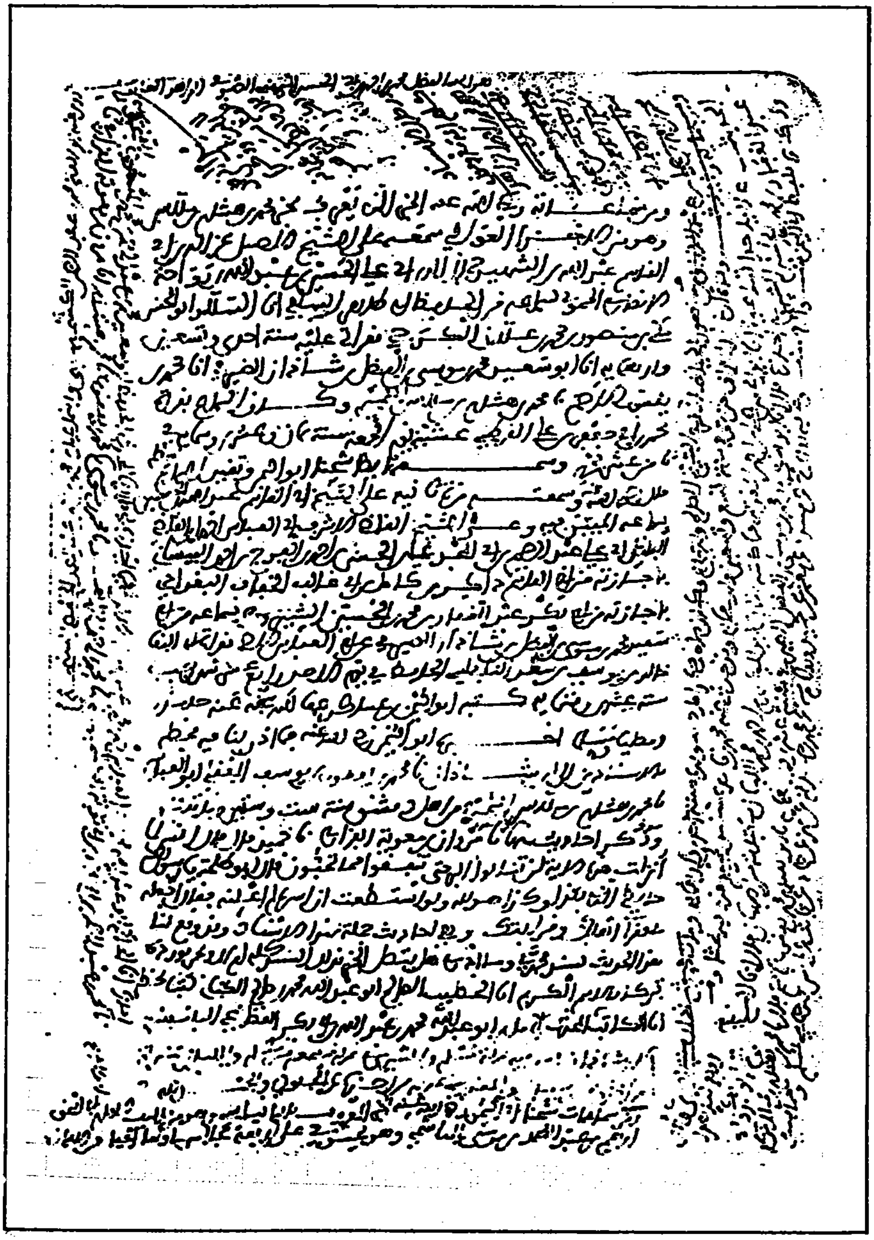

٥١ – أ

٥١ – ب

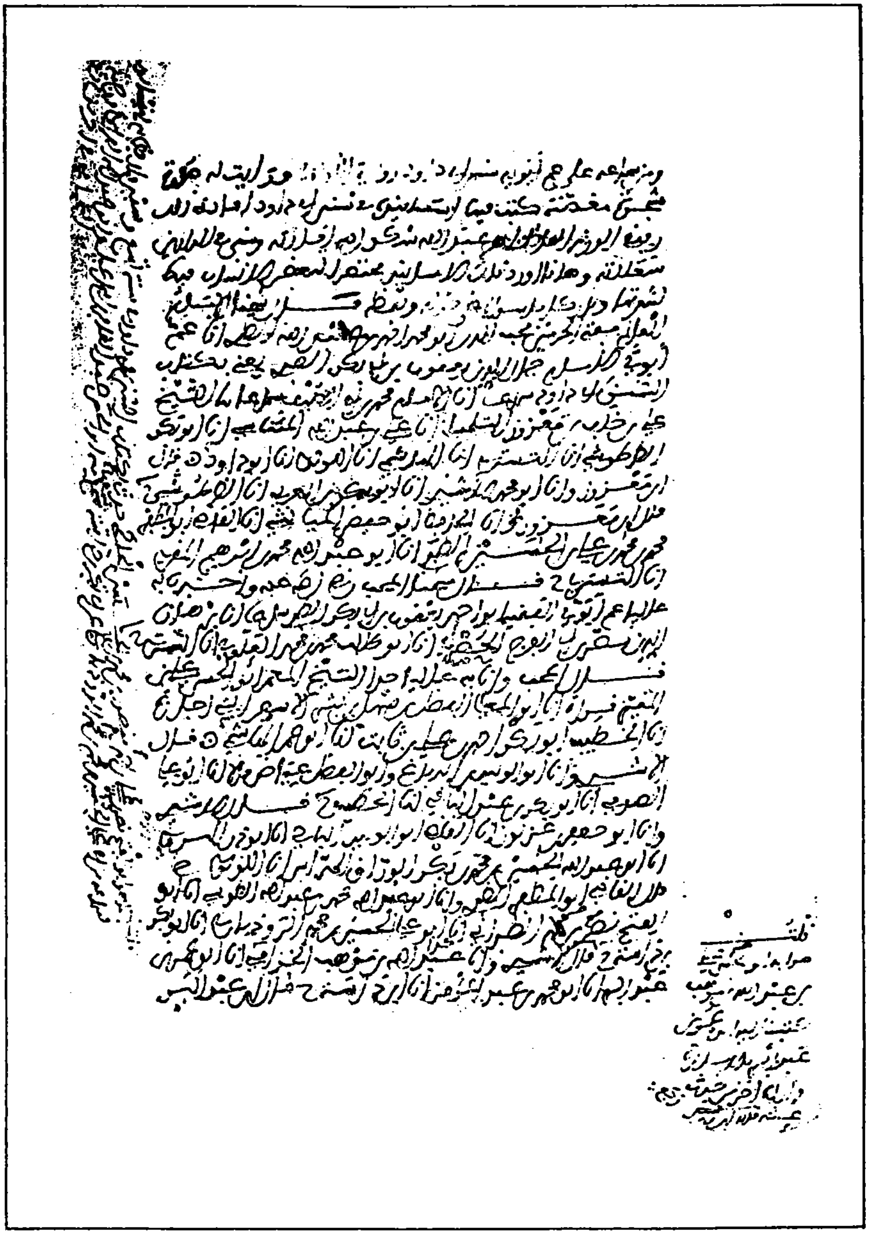

٥٢ – أ

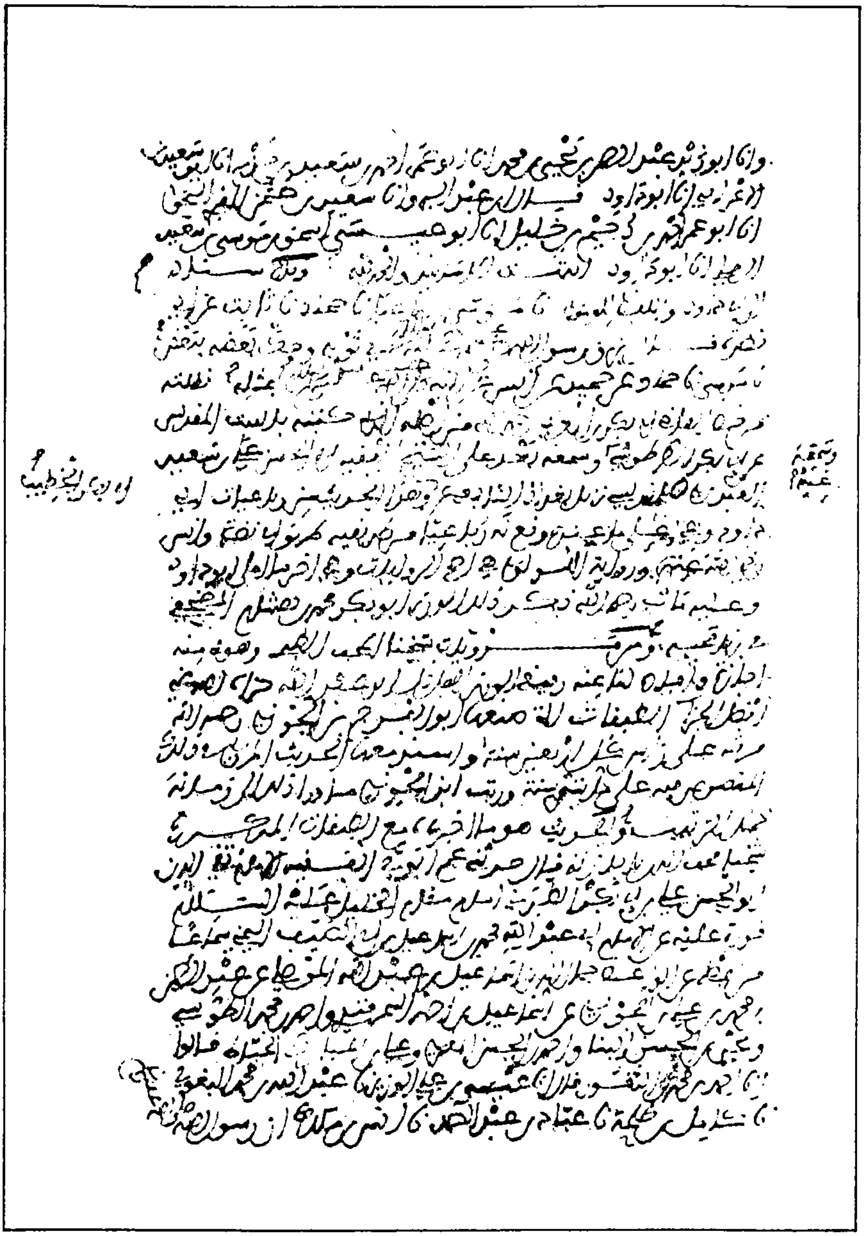

٥٢ – ب

٥٣ – أ

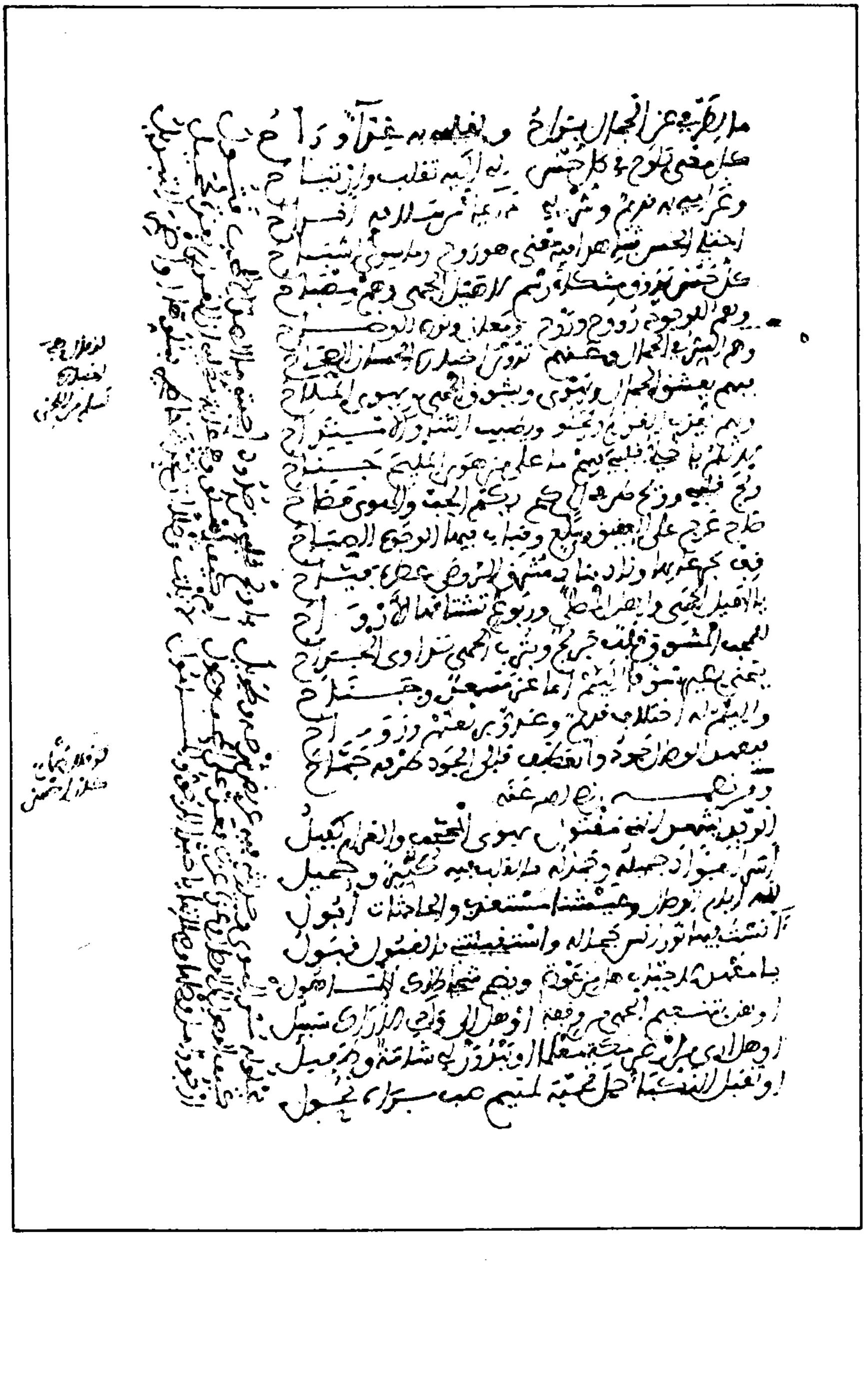

٦٢ – ب

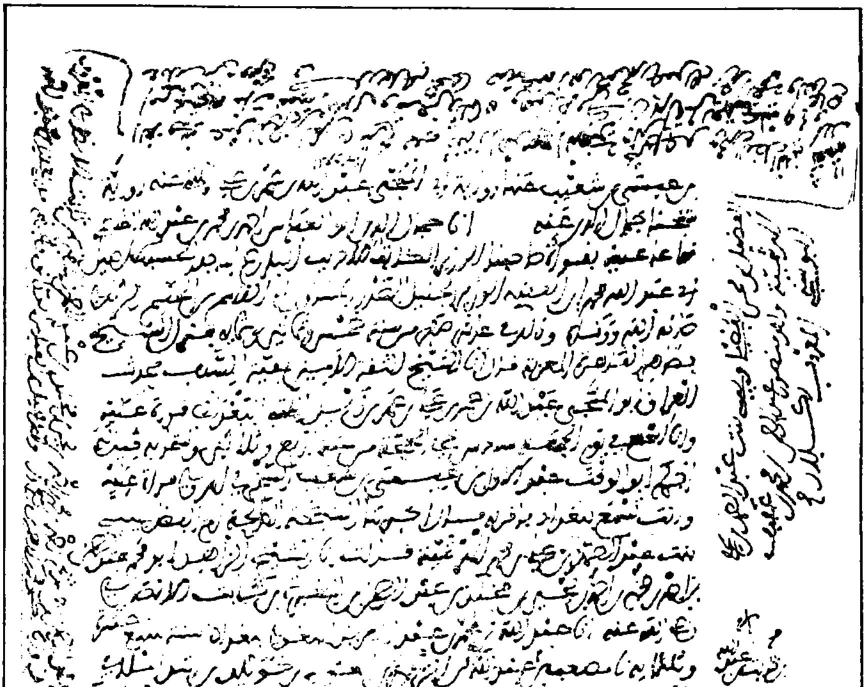

٦٣ – أ

قف على

قال الشيخ فقلت لابي [illegible] ابو بكر محمد بن [illegible] العباس [illegible] الفسطاطي قراءة عليه من
لفظه وحدثنا به وهو اول حديث سمعته من لفظه قال حدثنا ابو [illegible] ابو عثمان [illegible]
بن [illegible] بكر [illegible] وهو اول حديث سمعته منه
وذلك يوم [illegible] بعد [illegible] من شهر جمادى [illegible] سنة
تسع وثلاثين [illegible] المشهور [illegible] جوار [illegible]
بالمسجد الحرام قال الشيخ [illegible] ابو عبد الله محمد بن معمر
بن عبد [illegible]
[illegible] وهو اول حديث سمعته منه قال ابو [illegible]
بن محمد [illegible] وهو اول حديث سمعته منه قال ابو [illegible] احمد بن عبد الله [illegible]
وهو اول حديث سمعته منه قال ابو [illegible] محمد بن [illegible] وهو
اول حديث سمعته منه قال ابو [illegible] محمد بن [illegible] وهو اول
حديث سمعته منه قال عبد [illegible] وهو اول حديث سمعته منه
قال سفيان بن عيينة [illegible] وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن
ابي قابوس مولى عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ○
وحدثنا به الشيخ فقلت لابي [illegible]
الحديث [illegible] سنة خمس وثلاثين [illegible]
وهو اول حديث سمعته [illegible] قال الشيخ [illegible]
[illegible] بن خالد [illegible] قراءة عليه [illegible] وهو اول حديث سمعته من
لفظه [illegible] سنة [illegible] وعشرين وثمانمائة [illegible] قال ابو
[illegible]
[illegible]
[illegible]
سنة سبع واربعين [illegible]
[illegible]
[illegible] عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السماء [illegible] وهو اول حديث سمعته

ثبت في لسان [illegible] ان معناه
ارواح جمع روح [illegible]
ومعناه [illegible]
وليس [illegible] ان معناه [illegible]
قال [illegible] الفارسي [illegible]